جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

استراتيجيات الخطاب في خطب السيدة عائشة رضي الله عنها

Strategies Of Discourse In The Aisha's (May Allah Be Pleased With Her) Speeches

إعداد
فاطمة بنت علي بن عبد الله الألمعي
أستاذ مساعد، قسم الأدب والبلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الرابع-نوفمبر)
(الجزء الثالث (١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

استراتيجيات الخطاب في خطب السيدة عائشة رضي الله عنها

فاطمة بنت علي بن عبدالله الألمعي

قسم الأدب والبلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود ، المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: *fatmabentali@78gmail.com*

الملخص

انتشر مصطلح الخطاب وتعدَّدت مفاهيمه، وانسلَّت عنه استراتيجيات تتناسب وسياقات إنشائه وتقبله، وتتنوَّع بتنوع مقاصده؛ مما جعل دراسة هذه الاستراتيجيات أساسًا في الدرس التداولي، الذي يُعنى بالسياقات المنتجة للخطاب، وبالمقاصد التي تكشف عنها هذه السياقات؛ بنوعيها: اللغوي، وغير اللغوي. تهدف هذه الدراسة إلى تناول هذا المصطلح بالشرح والتحليل تأسيسا لتطبيق بعض مفاهيمه على مدونة ذات مكانة في الدين الإسلامي وتاريخه، وفي الأدب العربي وفنونه، لا سيما فن الخطبة، وهي مكانة استقت أهميتها من موردين؛ الأول: مكانة صاحبتها الدينية والتاريخية. والثاني: ما توافر لدى منشئة المدونة من كفاءات لغوية تواصلية أشار إليها مشيدًا كل من عرفها أو درس خطبها، وقد كشفت الدراسة عن هذه الكفاءة؛ عندما كشفت عن قدرتها _رضي الله عنها_ على تخيُّر الاستراتيجيات المناسبة للسياق، والمحقّقة للمقصدية. ومن ثمّ فالدراسة معنية بخطب السيدة عائشة _رضي الله عنها_ وتهدف إلى الإجابة عن سؤال محوري:

_ ما أبرز الاستراتيجيات الخطابية التي استخدمتها السيدة عائشة _رضي الله عنها_ في السياق المخصوص بخطابها؟ وما مدى صلاحيتها لإنجاح التواصل، وتحقيق المقصدية، وصناعة الأثر المنسجم مع هذه المقصدية؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة تحتَّمَ النظرُ في سياقات الخطب ومقاصدها؛ للوصول إلى مسوّغات تعدُّد الاستراتيجيات لديها، والإبانة عن مدى نجاعة توظيفها.

الكلمات المفتاحية: التداولية ، الخطاب ، الاستراتيجيات ، السياق ، المقصدية، الخطب، السيدة عائشة رضي الله عنها.

Strategies Of Discourse In The Aisha's (May Allah Be Pleased With Her) Speeches

Fatima bint Ali bin Abdullah Al-Almai

Department of Literature, Rhetoric and Criticism, College of Arabic Language, Imam Muhammad bin Saud University, Kingdom of Saudi Arabia

Email: *fatmabentali78@gmail.com*

Abstract:

The term "discourse" and its diversified concepts have been widely used in the modern discourse studies leading to the emergence of the concept of discourse strategies. It is required that these strategies have to fit the contexts of its creation and reception, and to vary with its different objectives. This has made the study of these strategies fundamental in pragmatic studies, which focus on the contexts that produce discourse and the intentions revealed by these contexts, both linguistic and non-linguistic. Accordingly, this study aims to explain and analyze this term, and then apply some of its concepts to a significant corpus within Islamic religion, history, and Arabic literature, particularly the art of oratory. This significance is derived from two sources: the first is the religious and historical stature of its author, and the second is the linguistic and communicative competencies that the author of the corpus possessed, as noted by all who have known her or studied her speeches. The study revealed this competence by demonstrating her ability (may Allah be pleased with her) to choose suitable strategies for the context that achieve the intended purpose. The study is concerned with the speeches of Lady Aisha (may Allah be pleased with her) and aims to answer a central question: What are the prominent rhetorical strategies that appeared in the corpus of Aisha (may Allah be pleased with her)? And how effective are they in facilitating communication, achieving purpose, and creating an impact consistent with that purpose? To answer this question, it is essential to examine the contexts of the speeches and their objectives in order to understand the rationale for the diversity of her strategies and the effectiveness of their application.

Keywords: ***Pragmatics, Discourse, Strategies, Context, Intent.Hg***

مقدمة

يرتكز الخطاب على جملة من الاستراتيجيات المرتهنة بالسياق؛ فتعدُّد السياقات مدعاةٌ لتعدُّد الاستراتيجيات، ولكل استراتيجية آلياتٌ وأدواتٌ تكشف عنها وتشير إليها، وإن كان الجزم بذلك ضربًا من التجاوز؛ إذ لا يمثّل وجود آليات التلميح _دائمًا_ دليلًا على تحقق الاستراتيجية التلميحية، مثلما لا يُعدّ وجود آليات التضامن مؤشّرًا على توفّر الإستراتيجية التضامنية؛ فمدار الأمر على الدلالات والمقاصد التي أنتجت الخطاب، ومع ذلك تظلُّ دراسة الاستراتيجيات في خطاب ما أمرًا بالغَ الأهمية؛ إذ تأخذ المعرفة بها القارئ نحو طرق الإنشاء؛ فترشده لأهمها، وتكشف عن العلائق التي تربط نوعية مستعمل اللغة بالاستراتيجية الأنجح لمخاطبته، وأثر السلطة والمعارف المشتركة والافتراضات المسبقة في تخيّر الأنسب من طرائق القول المختلفة، وكلُّ هذا قمين باستثمارها في حياته، وفي فهمه لما يطَّلع عليه من خطابات متنوعة ومتعددة المجالات، وارتباط اللغة بمستعملها في تخير الاستراتيجيات لا يبعد عن ميدان البحث التداولي الذي يتعامل مع عملية التلفظ لا مع البنية اللغوية، مما يجعله المنهج الأنسب. فالتداولية لا تهتمّ بالنص بوصفه بنية لغوية مغلقة بقدر ما تنظر إلى مصير التخاطب؛ لذلك تمثل منوالًا في دراسة الخطابات تتقاطع فيه الجوانب النفسية والاجتماعية بالأدبية والتواصلية..

ويمثل خطاب السيدة عائشة _رضي الله عنها_ المتشكل في أربع خطب، والصادر عن سلطة دينية اجتماعية في سياق مخصوص، وباستراتيجيات متعددة نموذجًا يستحقُّ التناولَ من خلال تطبيق آليات المنهج التداولي؛ لا سيما أنَّ خطب أم المؤمنين عائشة _رضي الله عنها_ لم تحظ بدراسة مماثلة عدا دراسة معنونة بـ(خصائص الخطاب الشفوي الحجاجي في خطب السيدة عائشة أم المؤمنين رضي

الله عنها)[١] للدكتورة منال المحيميد، وهي تتقاطع جزئيًا مع الدراسة الحالية في المدونة وفي بعض مكوّنات المنهج، إلا أنها ركزت على الحجاج وحده، وهو ما تجنبته هذه الدراسة. وأسفر البحث في الدراسات السابقة عن وجود دراسة أدبية اهتمت بالشرح والدرس الأسلوبي لخطبتها في الدفاع عن أبيها؛ وعُنوانها (خطبة عائشة رضي الله عنها في الدفاع عن أبيها دراسة أدبية).[٢]

فيما عدا ذلك، لا يوجد _مما وقعت عليه_ إلا مدوّنات جمعت خطبها وكتبت في سيرتها؛ مثل كتاب حبيبة الحبيب أم المؤمنين عائشة[٣]، أو كتب اقتصرت على سيرتها؛ مثل كتاب: "الصديقة بنت الصديق"[٤]، وكتاب "السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام"[٥]، وكتاب "حياة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها"[٦]، وكتاب "موسوعة أم المؤمنين عائشة"[٧]، كتاب "سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين

---

(١) المحيميد، منال: خصائص الخطاب الشفوي الحجاجي في خطب السيدة عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها ، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، عدد 24 ,لسنة ٢٠٢٢، صص٢٠٤- ٢٣٢ https://doi.org/10.55074/hesj.v0i24.511

(٢) المحمدي، جابر بن بشير، خطبة عائشة رضي الله عنها في الدفاع عن أبيها دراسة أدبية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

(٣) خميس، محمد عطية، السيدة عائشة أم المؤمنيين : حبيبة الحبيب، دار الدعوة، ط١، ١٣٩٦/١٩٧٥.

(٤) العقاد، عباس، الصديقة بنت الصديق، دار المعارف، مصر، ط١١، ١٩٨٢.

(٥) طهماز، عبدالحميد محمود، السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام، دار القلم، ط٤، ١٩٨٨.

(٦) شلبي، محمود، حياة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، دار الجيل، ط١، ١٩٩٨.

(٧) الحنفي، عبدالمنعم، موسوعة أم المؤمنيين عائشة، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٣.

رضي الله عنها"[١] ، وكتاب "الجانب الأدبي من حياة السيدة عائشة دراسة أدبية"[٢]، ومقال "من أدب أم المؤمنين عائشة وبلاغتها العربية"[٣]، وكلها مما يُصنف في السير، أو مما يمثل مدونة يُجمع فيها بعض ما تركته من أقوال وأحاديث وأخبار دون تحليل.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة:

أما **المقدمة** فإنها بسطت أهمية البحث ومنهجه والدراسات السابقة.

وجاء **المبحث الأول** نظريًا، عرَّف بمفهوم الخطاب واستراتيجياته. وجاء **المبحث الثاني** تطبيقيًّا؛ إذ تناول خطب السيدة عائشة _رضي الله عنها_ بالدرس، متوسلًا ببعض مفاهيم المقاربة التداولية، ومركزًا على استراتيجيات الخطاب في تلك الخطب. واستخلصت **الخاتمة** نتائج البحث وبعض التوصيات.

---

(١) الندوي، السيد سليمان، سيرة السيدة عائشة أم المؤمنيين رضي الله عنها ، عربه وحققه وخرج أحاديثه: محمد الندوي، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠٠٣.

(٢) مصطفى، صلاح محمد، دراسة مرشحة للفوز بمسابقة كاتب الألوكة الثانية، تاريخ الإضافة ٢٠١١/١٢/٢٨م.

(٣) البكر، فهد، من أدب أم المؤمنيين عائشة وبلاغتها العربية، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٧٣، ٢٠١٢م،

المبحث الأول

الخطاب؛ مفهومه واستراتيجياته

في مفهوم الخطاب:

لا شك في أنَّ تقديمَ تعريفٍ للخطاب ذي فكرة واضحة، ومقصديةٍ محددةٍ، وصبغةٍ تعليميةٍ تختزل التراكمَ المعرفيَّ الذي أحاطه أمرٌ يتعذَّرُ حصولُه؛ فمصطلح الخطاب من أكثر المصطلحات تعقدًا وأشدها لبسًا؛ نظرًا إلى تعقُّد المسار الإبستيمولوجي الذي قطعه هذا المفهوم، وإلى الجدل الواسع الذي دار بين المنظرين لهذا المصطلح على مدى قرون طويلة، منذ كان النقد العربي القديم، وكان الأصوليون، ومفسرو القرآن الكريم، واللغويون، إلى أن ظهرت اللسانيات الحديثة، التي اهتمَّت أولًا بالعلامة؛ فجعلت الخطاب محدودًا داخل إطار البنية اللغوية، ثم أخذت مفاهيمها تتسع لتشملَ البناء اللغويَّ وما أحاطه؛ فظهرت لسانياتُ التلفظ التي نظرت إلى الخطاب داخل سياقاته المتعددة. وزاد من ضبابية هذا المفهوم ارتباطه بكثير من العلوم الإنسانية، وهو ارتباط سوغته المكانة الكبيرة لعلوم اللسان في تحصيل المعرفة الإنسانية؛ فالذي "يتابع تطور مسارات البحث العلمي في مختلف حقول الآداب والإنسانيات يدرك بيسر أن علوم اللسان أو اللسانيات غدت في عصرنا هذا أحد الأبواب الرئيسة التي يستطيع أن ينفذ منها إلى عالم المعرفة كل من أراد أن يتمثل إبيستيمية هذا العصر أو مجالاته المعرفية"[(١)]؛ إذ عقدت اللسانيات روابط وصلات وثيقةَ العرى مع سائر المعارف؛ مما جعلها "شبيهة بصلة الفلسفة بالمعارف القديمة في عصر سقراط وأرسطو وفي عصر ابن سينا وابن رشد؛ أي: أنها أصبحت أم العلوم والمعارف أو ...

---

(١) ابن رمضان، صالح، التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٥م، ص ٥.

الشجرة التي عنها تتفرع سائر المقولات في عامة الحقول المعرفية؛ بما في ذلك الرياضيات، وعلوم الحاسب، أو ما يسمى باللسانيات الحاسوبية..." [١]

ورغم بهاء هذه الحقيقة _أعني حقيقة استعانة المتخصصين في شتى الحقول المعرفية باللسانيات وعلوم تحليل الخطاب_ إلا أن التقعيد لبعض المصطلحات اللسانية بات معضلًا؛ إذ تتضارب المفاهيم وتتعدَّد بتعدُّد من اقتبسها أو أفاد منها أو تقاطع معها، وهذا هو حال مصطلح (الخطاب) الذي تعدَّدت معانيه وتباينت مفاهيمه لأسباب كثيرة؛ منها: اختلاف زوايا النظر إليه، والتباسه ببعض المصطلحات اللسانية لا سيما الجملة والنص، وتعدد استعمالاته وأنواعه؛ فمن نوعه حسب العلم الذي انسل عنه (خطاب تاريخي، خطاب علمي..)، إلى نوعه حسب المتكلم به (خطاب القادة، خطاب الشعب)، إلى نوعه حسب الوظيفة التي يؤديها أو السمة الغالبة عليه (خطاب سجالي، إلزامي..) وغيرها من الأنواع؛ لذا احتجت في محاولة ضبط حدوده استعراض ما جاء في تعريفه لغويًّا، ثم التقعيد له لدى الأصوليين والنحويين، وعند اللسانيين المعاصرين؛ سواء منهم من اعتمد لسانيات العلامة، أو من آثر لسانيات التلفظ، وسنلحظُ شيئًا من التفاوت وآخر من التقارب في تعاريفه.

جاء في اللسان: "أنَّ الخطاب والمخاطبة مراجعةُ الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا وهما يتخاطبان"[٢]، وجاء فيه "وخطب المرأة يخطبها خطبا وخطبة بالكسر"[٣]؛ فمما اختصت به كلمة خطاب وجود مخاطَب ومخاطِب أو باثّ ومتلقّ؛ يقول ابن فارس عن الخطاب؛ إنه: "الكلام المتبادل بين اثنين، بمعنى الكلام بين اثنين يقال

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٦.
(٢) ابن منظور، لسان العرب (خ ط ب).
(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (خ ط ب).

خاطبه يخاطبه والخطبة من ذلك"[١]؛ وعليه يبرز في لفظة (الخطاب) فعل المشاركة في إنتاج الكلام، وهذه السمةُ من أخص سمات الخطاب عند منظريه حديثًا.

وفي الكليات: الخطاب هو الكلام الذي يقصد به الإفهام وإفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا[٢]، وعند التهانوي؛ هو: "توجيه للكلام نحو الغير للإفهام، ثم نقل الكلام الموجّه نحو الغير للإفهام"[٣]، وكذا عرفه الأصوليون فهو عندهم الكلامُ الذي يفهمُ منه المستمع شيئا[٤]، وتحين القصد من أبرز ما سيركز عليه المنظرون لمصطلح الخطاب في اللسانيات الحديثة. وجاء الخطاب وما انسل عنه من ألفاظ في كتب النحو في معرض الحديث عن كاف المخاطبة، وفي دراسة أسماء الإشارة والمضمرات وما إلى ذلك؛ يقول المبرد: " اعلم أن الكاف زائدة زيدت لمعنى المخاطبة"[٥]، وتناول ابن جني والمبرد مسألة المخاطبة في دراستهما لطريقة من طرائق الاستفهام؛ يقول ابن جني: " إذا خاطبت إنسانا فاجعل أول الكلمة للمذكور الغائب وآخرها للحاضر المخاطب،

---

(١) ابن فارس، أبو الحسن أحمد، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٩١.مج٢، ص١٩٨.

(٢) ينظر: الكوفي، أبو البقاء، الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، بيروت، ط١، ١٤١٢/١٩٩٢م، (خ ط ب).

(٣) التهاوني، محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون، وضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨/١٩٩٨م، ج١/٤٠٣.

(٤) الآمدي، علي بن محمد، الأحكام في أصول الأحكام ، تحقيق: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤٠٩/١٩٩٨م. ج١/ ص١٣٦.

(٥) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبرالخالق عظيمة، عالم الكتب، ج٣، بيروت، ص ٢٧٧.

تقول إذا سألت رجلا عن رجل: كيف ذلك الرجل يا رجل"[١]؛ "فالنحويون لم ينظروا في مصطلح الخطاب إلا موطنًا لعناصر لغوية التبست به واختلطت حتى لا فكاك له منها، ونقصد بذلك أسماء الإشارة، والمضمرات المتمحضة بالتكلم، والمخاطبة، وينبغي ألا نغفل عن تلك الإشارة اللطيفة التي نبه عليها الرضي الأستراباذي إلى زمن الخطاب الذي هو حاضر التكلم عندما وصل استعمال اسم الإشارة بالحضور، وقد ذهب في تجويد الحديث عن الخطاب مذهبا جعله يرتئي ترتيبا للمضمرات التي تتفاوت من قبل اختصاصها بالمتكلم "[٢]

وبالتدقيق في هذه المعاني يظهر لنا:

- أن الخطاب بوصفه جذرا لغويًّا ليس دخيلًا على اللغة العربية.
- وأن لفظ (خطاب) يتوافق مع المعنى اللغوي للخطاب؛ في كونه يقتضي طرفين مخاطب ومخاطبة، ويقوم على المشاركة وهذا ما جاءت به اللسانيات التداولية الحديثة[٣].
- وأن الخطاب يتغيا تحقيق مقصدية؛ فهو يقوم على الإفهام، وهذا جزء من تعريفه حديثًا.

---

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان، اللمع في العربية، تحقيق: حامد المؤمن، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط٢،ص٣٠٩.

(٢) الخبو، محمد، الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة، دار صامد، صفاقس، تونس، ٢٠٠٣م، ص٢٢

(٣) ينظر: إدريس حمادي، الخطاب الشرعي وطرق استثماره ص٢٢، خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص ٤١.

- وأن الخطاب ما هو إلا تفاعلٌ أفقي بين الملفوظ ومقامه والملفوظ وسياقه؛ وهذا ما ظهر لدى النحاة؛ فـ"النحاة استوفوا أركان الخطاب الذي اقتضى مقاما لقول، مخصوصا لا يستقيم إلا به، فما من حديث عن المخاطبة إلا وعرض النحاة للسياق الذي تتنزل فيه"(١).

واكتمل تعريفه عند الأصوليون الذين أكثروا من إيراد هذا اللفظ في مدوناتهم وجاؤوا بجل اشتقاقاته في معرض حديثهم عن المقاصد في الخطاب القرآني؛ يقول أحدهم في تعريف الخطاب بأنه: "القول الموجه المقصود من المتكلم (أنا – نحن) إلى المتلقي المخاطب (أنت، أنتما، أنتم، أنتن) لإفهامه قصده من الخطاب صريحًا مباشرًا أو كناية أو تعريضًا في سياق التخاطب الأصولي"(٢)

أما عن اللسانيات الحديثة فلعلَّ أول من أشار إلى هذا المصطلح العالم اللساني (ز.س. هريس)؛ حين نشر في مجلة اللغة مقالًا له بعنوان: تحليل الخطاب؛ وعرفه بأنه: "عبارة عن ملفوظ طويل أو سلسلة من الجمل".(٣) غير أنَّ هذا التعريف يجعل مصطلح الخطاب يرادف مصطلحًا آخر وهو النص؛ فالنص عبارة عن سلسلة من الجمل. وبعد البنيوية يكثُر الحديث عن الخطاب وتحليل الخطاب، فنجد إيميل بنفست يعرفه بقوله: "عبارة عن ملفوظ ينظر إليه من جهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، وهو كل تلفظ مرسل ومستقبل للمرسلة اللغوية، يفترض عند الباث قصد

---

(١) الخبو، محمد، الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٢) عكاشة، محمود، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٣٥- ٢٠١٤م، ص ١٧.

(٣) قياس، ليندة ، لسانيات النص النظرية والتطبيقية ، مقامات الهمذاني أنموذجا ، تق عبدالوهاب شعلان ، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩. ص ٤١.

التأثير على المتلقي بكيفية ما "[1]؛ فالخطاب حسب بنفست يعمل على التأثير في المتلقي من خلال تضافر الظروف المقامية التي نشأ فيها الخطاب.

ثم اتسع مفهوم الخطاب عند ديبورا شيفرن التي جاءت بثلاث تعريفات؛ يمثل أولها: ما جاء عند هريس من أنه أكبر من الجملة. وثانيها: يمثل ما جاء عند بنفنست وهو الاتجاه الوظيفي الذي يعترف بدور عناصر السياق في إنتاج الخطاب. وأما التعريف الثالث: فهو تعريف الخطاب بوصفه ملفوظًا؛ إذ يمثل هذا التعريف نقطةَ التقاطع بين المنهجين السابقين، أي: بين البنية والوظيفة، وقد يتخذ من الجملة أساسًا له ولكن ليس بمفهومها العرفي التجريدي، وبوصفها تلك السلسلة من الكلمات غفلا عن اعتبار السياق بل بمفهومها التلفظي في السياق. ويُغفلُ التعريف بهذه الرؤية مفهوم الخطاب وفق المنهج الشكلي، أي: بوصفه ما يزيد عن الجملة، كما يعدل به عن كونه تراكمًا من الوحدات اللغوية الصغرى التي لا سياقَ لها إلى كونه مجموعةً من وحدات ذات سياقاتٍ تلفظيةٍ خاصةٍ بها، أي: أن الخطاب مكون من جمل سياقية."[2]

وخلاصة القول: إنَّ الخطابَ ليس جملًا تتوالى، بل إنه تكاملٌ بين اللغة الوظيفية التي تحمل مقاصد محدَّدةً ينقلها الباثُّ إلى المتلقي؛ للتأثير فيه، ويتدخلُ السياقُ في تشكيلها وتأويلها؛ فدلالة الكلام تتشكل من تقاطع الملفوظ مع مقام التلفظ، ومن التفاعل بين المتخاطبين في أثناء التواصل؛ فهو وحدة تتألف من نصٍ وسياقٍ مخصوصٍ وتفاعلٍ مقصودٍ وغايةٍ محددةٍ.

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص٤٠.

(٢) الشهري، عبدالهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان– بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٦٣.

في مفهوم الاستراتيجية [١]:

على العكس من مفهوم الخطاب، يظهر مفهوم الاستراتيجية واضح الدلالة بَيّن المعنى؛ رغم انتقاله من علم إلى آخر ومن لغة إلى أخرى؛ فالمصطلح (stratagos) يعني: قائد الجيش في اليونانية القديمة، ومنه انسل (strategia) التي تعني التخطيط العسكري،[٢] ودخلت إلى العربية لتؤدي هذا المعنى، ومع الاستعمال تجرد المصطلح من اختصاصه بالعسكرية، واتسع ليشمل أيَّ فعلٍ ممنهج، يرنو نحو غاية محددة، ويتخذ في سبيل تحقيقها خطوات مدروسة تتوالى في تنظيم مُعَدٍّ سابقًا، ولأن الخطاب يتغيا تحقيق هدف، ويستثمر اللغة بوصفها مادته الأولية في تحقيق أهدافه؛ أضيفت الاستراتيجية للخطاب في تركيب أريد به:"المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه، من أجل تنفيذ إرادته، والتعبير عن مقاصده، التي تؤدي لتحقيق أهدافه، من خلال استعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية، وفقا لما يقتضيه السياق (سياق التلفظ) بعناصره المتنوعة ويستحسنه المرسل"[٣]. وفي التعريف السالف تبرز أهمية السياق في كونه عاملًا شديد التأثير على اختيار الاستراتيجية؛ وفي تشكيل الخطاب؛ فالخطابات تنشأُ وفاق استراتيجية محددة، هذه الاستراتيجية ترتهن بالسياق الذي يتشكل داخله الخطاب؛ لذا تتعدَّد أنواعُ الاستراتيجيات تبعًا لتعدُّد السياقات، وهذا ما يفسر كثرة الاستراتيجيات؛ فالاستراتيجية الناجعة في سياق ما تتضاءل أهميتها في سياق آخر؛ "مما يحيل الخطاب إلى فعل

---

(١) مصدر صناعي .

(٢) ينظر: الدكتور.ف.عبدالرحيم، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠١١م، ص٢٦

(٣) الشهري، عبدالهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، مرجع سابق، ص٦٢.

اجتماعي"[١]، ويجعل امتلاك الكفاءة التداولية ضرورةً بدهيةً للحصول على خطاب مؤثرٍ؛ لذا كان من المهم امتلاك الكفاءة التداولية إلى جانب الكفاءة اللغوية، وكلتاهما متضمنتان داخل تكوين الإنسان السوي، على أن الكفاءة التداولية نسق صعب المراد؛ لتشكله من مجموعة من الملكات؛ وهي: الملكة اللغوية، الملكة المنطقية، الملكة المعرفية، الملكة الإدراكية، الملكة الاجتماعية؛ اللاتي تُنتج خمسة قوالب (القالب اللغوي، القالب المعرفي، القالب الاجتماعي، القالب المنطقي، القالب الإدراكي)؛ وعليه فإن كل ملكة من هذه الملكات الخمس تختص بقالب ينتمي إليها، وتضافر عمل هذه القوالب لإنتاج الخطاب هو ما تصنعه الكفاءة التداولية التي تستثمر كل الملكات، موظفة إياها في عملية انتاج الخطاب[٢]؛ فالكفاءة اللغوية لدى الإنسان تنمو حتى يصبح قادرًا على تغيير ملفوظاته تبعًا لتغير السياق، وعندها تتأصل الكفاءة التداولية التي تمنحه القدرة على الاختيار والمفاضلة بين ما جال في ذهنه من خيارات، هذه الخيارات هي الاستراتيجيات، واصطفاء إحداهن عائد للكفاءة التداولية؛ وعليه فـ"إن استراتيجية الخطاب هي نتيجة لصنعة الكفاءة التداولية "[٣]، واختيار الاستراتيجية في خطاب ما يستتبعه اختيار المركب اللغوي المناسب، الذي يصبح فيما بعد علامة على استراتيجيته؛ لأن الجانب اللغوي هو الجانب الظاهر في تشكل أي خطاب، "وبهذا يتضح أن استراتيجية الخطاب نتاج لمرحلتين متكاملتين؛ هما:

- المرحلة الذهنية، وفيها يجري تفعيل القوالب السالفة الذكر.
- الخطاب ذاته بلغته في مستوياتها المستعملة.

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص٥٦.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص٥٨.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص٦١.

وتتبلور استراتيجية الخطاب في أحد مستويات اللغة؛ مثل: المستوى المعجمي أو التركيبي أو الدلالي أو الصوتي، وكذلك يمكن أن تتبلور في أكثر من مستوى في آنٍ واحدٍ؛ مثل: المستوى التركيبي أو الصوتي"[١] وتبلورها يكون بافتراض درجة من الأداء لكل مستوى من مستويات اللغة –تتناسب مع السياق وكفاءة كل طرف من أطراف العملية التواصلية– وبالانزياح عنها تتضح الاستراتيجيات وتتمايز، وتتضح المقاصد التداولية وتظهر دلالاتها؛ لذا كانت دراسة المستويات اللغوية ضرورية لتحديد الاستراتيجية، وكذلك العلامات غير اللغوية –إن وجدت– وذلك عائد إلى تدخلها في بناء بعض الخطابات وكشفها عن استراتيجياته.

وفي محاولة لضبط أنواع الاستراتيجيات المتعددة والمتباعدة، ولتأطيرها بما يفيد مجال دراسة الخطاب؛ وضع بعض الدارسين معايير لتصنيف الاستراتيجيات؛ أمثال الشهري الذي أفاد من تعريف الخطاب في استخلاص المعايير التي تضبط عملية تصنيف الاستراتيجيات؛ فقال إن الخطاب: " كل منطوق متوجّه به إلى الغير للتعبير عن قصد المرسل ولتحقيق هدفه. إذ يتركب هذا التعريف من محاور ثلاثة؛ هي: أن الخطاب يجري بين ذاتين، وأنه يعبر به المرسل عن قصده، وأنه يحقق هدفا، من هنا كانت هذه المحاور الثلاثة هي معايير تصنيف الاستراتيجية التي يراعيها المرسل عند إنتاج خطابه"[٢]؛ مما يؤصل علاقة الاستراتيجيات بمعطيات إنتاج الخطاب، أي: بعناصر السياق التواصلية التي نتج فيها، وكذلك العلاقة بين أطرافه من مرسل ومرسل إليه وما ينشأ بينهما من تفاعل، ومن ثم علاقة الخطاب ذاته بالمرسل[٣].

---

(٣) المرجع السابق نفسه، ص٦٨.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص١١٠.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٨٦.

وعليه؛ فقد حدد الشهري ثلاثة معايير:

معيار اجتماعي: يستثمر العلاقة السابقة بين المتخاطبين في اختيار استراتيجياته؛ فيهتبل ما يجمعه والمخاطب من معارف مشتركة، وما تشكَّل لديه عن المخاطب من افتراضات مسبقة في تحقيق مقصديته، ثم يحدد طريقته في التعامل مع المرسل إليه؛ فإن أراد استمالته وتقريبه، وجعل استرضاءه أولوية استخدم الاستراتيجية التضامنية، وإن أراد توجيهه وإرشاده دون اكتراث بأولوياته استخدم الاستراتيجية التوجيهية.

معيار لغوي: يتأسس على شكل الخطاب ومدى ارتباطه بمضمونه؛ فإن اختار المرسل أن يساوي بين القصد من منطوقه ودلالته الحرفية كانت الاستراتيجية مباشرة، وإن اختار مخالفة قصد منطوقه للدلالة الحرفية للملفوظ كانت الاستراتيجية تلميحية، "وتتجسد كل من هاتين الاستراتيجيتين من خلال أدوات لغوية وآليات معينة يعمد المرسل إلى انتقائها وتوظيفها". (١)

معيار هدف الخطاب: والهدف؛ هو: "القوة الدافعة التي تقف خلف التواصل الإنساني، وبالتالي فالهدف يؤثر في إنتاج الملفوظات كما يؤثر كذلك في تأويلها، وتساعد الأهداف على تحديد علاقة الأفعال بالملفوظ، فنتلفظ بالتعبيرات التي نعتقد أنها ذات علاقة بالهدف الذي نريده"(٢) . وللهدف سطوة على ذهن المرسل، وله حضور يجعله من أهم عناصر السياق التي تتحكم في تحديد الاستراتيجية الناجعة؛

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص ١١٧.

(٢) *B. j. Haslett: communication "strategic action in context" . ELA publisher, 1987. P. 125* ،

ينظر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص ١٤٩.

فالرغبة في تلبية الهدف من أهم الموجهات لاختيار الاستراتيجية الخطابية، ومن فرط أهميته في تحديد الاستراتيجية سميت بعض الاستراتيجيات باسمه؛ فيُقال استراتيجية اعتذارية أو إعلامية أو إفحامية؛ ومن شأن اللغة أن تحقق الهدف؛ فـ:"اللغة سلاح من أخطر أنواع الأسلحة النفسية للسيطرة على الأفكار والأشياء، وما أمر الدعاية بالخطب والإعلانات بالأمر الهين، وفي الانتخابات النيابية والمحاكم _غالبا_ ما يكون الجانب الظافر أقدر الجانبيين على استخدام سلاح اللغة."[(١)] وعليه فقد جعل الشهري معيار هدف الخطاب من أهم معايير اختيار الاستراتيجية، وفرع منه الاستراتيجية الاقناعية؛ إذ يرى أن هدف الإقناع من أشهر الأهداف وأهمها، وعليه تعوِّلُ كثيرٌ من الخطابات تحقيق منافع كثيرة [(٢)]، ورغم أهمية هذا الهدف فإن الدراسة ستتجنب الخوض فيه لحاجته إلى بحث يُفرد له.

(١) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٠هـ، ص١٠.

(٢) ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

المبحث الثاني

استراتيجيات الخطاب في خطب السيدة عائشة رضي الله عنه

مصادر خطب السيدة عائشة رضي الله عنها:

خلفت لنا كتب التراث[١] خطبًا للسيدة عائشة _رضي الله عنها_ جمعها وحققها الدكتور صلاح الدين المنجد، وضمها إلى تحقيقه لمخطوطة محمد بن القاسم الأنباري المتوفي سنة ٣٢٧هـ في شرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها، وعددها أربع خطب وخامستها الخطبة المعنية بالتحقيق والمشروحة من قبل الأنباري، وللسيدة عائشة _رضي الله عنها_ خطبة أوردها الطبري في تاريخه، وخطب أخرى صغيرة وردت في كتاب بلاغات النساء لأحمد أبو طاهر وعددها خمس، صنفها الجامع تحت جنس الخطابة رغم ميلها نحو مقامات أخرى من القول؛ إذ تندرج ضمن الجنس الخطابي العام، فليست خطبًا بالمفهوم التجنيسي لمصطلح الخطبة؛ فلا سياق يدل على تجمع الناس، ولا مقدمات تفصح عن وجود جمهور تخطب فيهم، أو خواتيم تحوي توجيهًا أو تستميل جمهورًا على اعتبار أن الخطبة فن مشافهة الجمهور واستمالته، ولست هنا بصدد المعالجة الأجناسية للمرويات المتعلقة بالسيدة عائشة، فهذا أمر يطول شرحه، لا سيما أن "الجنس في حد ذاته مفهوم مركب منفتح ما أجمعت الدراسات على حدود بينة له، بل إن السمات الأجناسية تتغير بتغير العصر وتختلف باختلاف الأثر"[٢]. ولن أغوص _أيضًا_ في تفاصيل التوثيق وأسانيده؛ فقد

---

(١) البيان والتبيين، والعقد الفريد، وزهر الآداب، والإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، ونهاية الأرب في فنون الأدب، وجمهرة خطب العرب، والكامل ، وفي تاريخ الطبري.

(٢) ابن علي، محمد، الأجناس الوجيزة في النثر العربي القديم ، جامعة سوسه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط١، ٢٠١٣م، ص١٠.

ذهب به كثير ممن حققوا نتاجها _رضي الله عنها_ سواء أكان مما خلفته من أحاديث روتها عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو آراء أو أخبار تركتها، أو خطب رواها عنها من حضر أو سمع؛ فهذا الأمر _مع أهميته_ بعيدٌ عن هدف البحث الذي يُعنى بالجانب الخطابي عند أم المؤمنيين _رضي الله عنها_ وتوظيفها الناجح لبعض استراتيجيات الخطاب التي يحفل بها الدرس اللساني الحديث.

هذا كله دفعني إلى اعتماد مدونةٍ واحدةٍ، وهي مدونة المنجد بوصفها مصدرًا، مستأنسةً بما جاء في غيره لا سيما أن المضامين واحدةٌ وسياقاتها مكرورة، تدور حول والدها والدفاع عنه، أو الترحم عليه والتعبير عن فقده، أو عن مقتل عثمان _رضي الله عنه_ والمطالبة بأخذ ثأره.

سياق خطب السيدة عائشة رضي الله عنها ومقصديتها:

إذا افترضنا أن كلَّ خطابٍ يتبعُ استراتيجية رسمها المنشئُ في ذهنه، على أساس أن الخطاب فعلٌ مخططٌ له بالضرورة؛ فهذا يعني أن كل خطاب سيراعي ما يحيطه من سياقات في أثناء عملية التشكل، وهذا الافتراض يقودنا إلى ضرورة الإحاطة بسياقات الخطاب قبل تحديد استراتيجياته؛ إذ لا يتخلق الخطاب إلا داخل سياقه ولا تنجلي استراتيجياته إلا بانجلاء مقاصده؛ وهذا ما يسوّغ اهتمام التداولية بدراسة السياقات غير اللغوية؛ فهي المنهج المعني باستظهار المقاصد ودراسة اللغة في أثناء الاستعمال، فـ"المرسل لا يغفل السياقات في عملية إنتاجه لخطاب ما، كما لا يهمل المرسل إليه السياقات في فهمه لمعاني ودلالات الخطاب"[(١)]؛ فتتبع السياق

(١) الهيص، فريدة، استراتيجيات الخطاب في مقامات الحريري، من سياقات التداول إلى شعرية السرد، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب واللغة العربية، تحت إشراف الدكتور محمد ←←←

ضروري في إنشاء النص وتقبله، ويمكن تعريف السياق؛ بأنه: "المحيط الملموس الذي تُستعمل فيه الكلمة "[1]، أو "جملة الشروط الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللغة"[2]، فالسياق"عملية شاملة تستدعي كل ما يحيط بالخطاب من عناصر تساعد على ضبط المعنى"[3]؛ من مرسل، ومرسل إليه، وزمان، ومكان، علاوة على البنية اللغوية وشكل الخطاب؛ فالسياق يشمل خارج النص وداخله، ويشمل كل ما من شأنه نقل الدلالات إلى التداول، وتحقيق القدر الأكبر من الفهم. وسأجمل الحديث أولًا عن سياق خطب السيدة عائشة الخارجي؛ لاستظهار مقصديتها الأساس من هذه الخطب.

للسيدة عائشة أربع خطب وردت في تحقيق المنجد؛ إذ استبعدت الثانية (خطبتها على قبر أبيها) لبعدها عن فن الخطابة؛ فظهر ترتيب الخطب على النحو الآتي:

خطبتها في الدفاع عن أبيها، خطبتها حين أُخبرت بمقتل عثمان، خطبتها بالمربد، خطبتها يوم الجمل.

→→→

الأمين بحري، التخصص سرديات عربية، جامعة محمد خيضر، قسم الآداب واللغة العربية، بسكرة، الجزائر، سنة ٢٠١٤-٢٠١٥، ص٥.

(١) يول، جورج، التداولية، ترجمة: قصي العتابي، دار الأمان، ط١، الرباط، ٢٠١٠، ص ١٨٦.

(٢) ثقبايت، حامدة، قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، ٢٠١٢، ص ١٨.

(٣) علوي، حافظ إسماعيلي وآخرون، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، ط١، الأردن، ص٣٦٣.

جاءت عنوانات الخطب حاملة دوافع كتابتها، وجاء ترتيبها مبنيًّا على زمن إلقائها؛ وهو ترتيب يوافق السيرورة الزمنية للأحداث التاريخية، كما جاءت في كتب السنة والتاريخ والأدب، وهي أحداث بدأت بعد مقتل عمر بن الخطاب _رضي الله عنه_ ولم تنته آثارها وامتداداتها حتى زماننا هذا؛ إذ بدأ التشكيك في شخص أبي بكر الصديق وصدقه، وفي ولايته وأحقيته بها، وفي سداد رأيه عند اختيار خليفته، ثم التشكيك في صحة اختيار الفاروق لذي النورين عثمان بن عفان، ثم في اختيار عثمان لولاته، واستشرت الفتنة حتى أردت عثمان قتيلًا. وكل هذا يمر وعائشة _رضي الله عنها_ تسمع وترى، وهي من هي علمًا وفقهًا وبلاغةً؛ فكان تدخلها الأول دفاعًا عن والدها، ودحضًا لكل من تجرأ على شخصه، ثم كان قولها الثاني عندما فجعت بمقتل عثمان، و"كانت قد خرجت إلى مكة تريد الحج، وعثمان _رضي الله_ عنه محصور، ثم خرجت من مكة تريد المدينة. فلما كانت بسرف لقيها رجل من أخوالها من بني ليث، يقال له عبيد بن أبي سلمة، فأخبرها بمقتل عثمان؛ فعادت إلى مكة؛ وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوما، فقصدت الحجر فسترت فيه، فاجتمع الناس حولها"[(١)] وقد راعها عِظمُ الأمرِ وتجبُّرِ القتلة؛ فأنطقها الموقف بخطبتها الثانية، بل ذهب بها إلى أبعد من ذلك؛ فخرجت مع طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام، وبصفتها ممثلة لبيت النبوة سيجتمع الناس حولها _حتمًا_ إذا فرقتهم السياسة، مطالبة بدم المهدور دمه، ومبتغية تحقيق ما أمر الله به من قصاص نص عليه كتاب الله الكريم، حتى وصلت المربد فاجتمع الناس حولها؛ وكانت خطبتها الثالثة تستحثّهم على أخذ قتلة عثمان وإقامة حدود الله، حتى إذا جاء يوم موقعة

(١) الأنباري، محمد بن القاسم، شرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها، ويليه مجموعة لخطب أم المؤمنين رضي الله عنها، جمعها وحققها الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت– لبنان ، ط٢، د.ت، ٣٣.

الجمل خطبت خطبتها الأخيرة التي نفت فيها أن تكون آثمة في خروجها أو محدثة لفتنة، وكان الفريقان قد اصطلحا، ثم قام علي _رضي الله عنه_ وخطب وطلب ألا يتبعه ممن أعان على قتل عثمان أحد؛ فاجتمع من رؤوسهم جماعة ساءهم اجتماع المسلمين على كلمة واحدة وهي الاجتماع عليهم[١] "فقال ابن السوداء قبحه الله: يا قوم إن عيركم في خلطة الناس، فإذا التقى الناس فأنشبوا الحرب والقتال بين الناس، ولا تدعوهم يجتمعون، فمن أنتم معه لا يجد بدا من أن يمتنع ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهما عما يحبون، ويأتيهم ما يكرهون، فأبصروا الرأي، وتفرقوا عليه"[٢]، ثم كان ما كان من قيام الحرب وسقوط الكثير من المسلمين قتلى رحمهم الله أجمعين ... هذا اقتضاب لمجمل سياق الموقف الذي أنضج خطاب أم المؤمنين _رضي الله عنها_ التي بقيت صامتة بعيدة عن الشأن السياسي قرابة العشرين عامًا، وما أنطقها إلا التحول العميق في أحوال المسلمين، والمخالفاتُ الفجةُ لما انتهجه الناسُ في عصر الرسول، وخليفتيه أبا بكر وعمر.

فالمخاطِب هنا السيدة عائشة، بنت أبي بكر، وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأم هؤلاء المؤمنين الذين ترى تخبطَّهم، ويعز عليها تفرَّق شملهم وانحرافهم عن نهج نبيهم؛ فتدخلت تدخلَ الأم البارة بأبنائها، الصارمة عندما تدعو الحاجة، المنصفة عندما يطغى أحد أبنائها، والمرسل إليه مسلمون من الصحابة وآخرون من التابعين، وهم أخيار الناس؛ كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ

---

(١) ينظر: ابن كثير، الحافظ أبو الفداء، البداية والنهاية، دقق أصوله وحققه، أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ، (٧/٨/١٨٨-١٩٩).

(٢) خميس، محمد عطية، السيدة عائشة أم المؤمنيين : حبيبة الحبيب، دار الدعوة، ط١، ١٣٩٦/١٩٧٥، ص ١٧٤.

يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ" [١]. قال النووي رحمه الله: "الصَّحِيحُ أَنَّ قَرْنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصَّحَابَةُ، وَالثَّانِي: التَّابِعُونَ، وَالثَّالِثُ: تَابِعُوهُمْ"[٢]، والزمن الذي أنشئت فيه هذه الخطابات كان في خلافة عثمان _رضي الله عنه_ وفي أثناء احتدام الخلاف بين المسلمين، أما المكان فقد كان في بلاد تابعة للخلافة الإسلامية (المدينة، المربد، والبصرة). وقد أوجدت هذه التقاطعات خطاب أم المؤمنين عائشة، فلماذا تكلفت عناء مواجهة المسلمين ومن اختلط بهم من منافقين أرادوا الفتنة أو ممن اختلط عليه الأمر فلم يستطيعوا الفصل بين الحق والباطل؟ وما الذي أرغمها على تكبد عناء الارتحال من بلد إلى آخر وقد جاوزت الخمسين من عمرها، ثم أنطقها بخطب كانت تخوض بها أولى تجارب الخطابة فلم تقتحمها لا في عهد الرسول ولا في عهد خليفتيه الأولين؟

إن الإجابة عن هذين السؤالين تُظهرُ مقصديتَها الأساس؛ المقصدية التي تعني: النية أو الوجهة، كما عرفها سيرل[٣]، وتُمثلُ حالةَ المتلقي وما يعتنقُّه من معتقدات وآراء وأفكار تجعلُ من استظهار دلالات الخطاب أمرًا ممكنًا؛ إذ تنسلُّ المعاني تباعًا من المقصدية، وتتعالقُ معها في أثناء الشرح والتأويل في انسجام يحقِّق هدف الخطاب؛ وهذا ما يجعل من إحياء المؤلِّف أمرًا غايةً في الأهمية، على عكس ما روَّج له الشكلانيون والبنيويون؛ فإعمالُ المقصدية يجنبُنا التوسُّعَ في تأويلات نصوص مَن سبقونا بمئات السنين ممَّن لا يمكن سؤالهم مباشرةً، وإنْ أمكن مساءلةُ خطاباتهم

---

(١) أخرجه البخاري، وابن ماجه، ومسلم، والترمذي، وأحمد .

(٢) من شرح النووي على مسلم، النووي، أبو زكريا محي الدين، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٣٩٢، (١٦،٨٥).

(٣) سيرل: جون: العقل واللغة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، ٢٠٠٦، ط١، ص١٠٢.

وما عُرف عنهم وربطها بمقصدياتهم؛ لتنجليَ لنا المعاني صافيةً خاليةً من ترهات التأويل اللفظي ومن هنا تنبع أهميتُها؛ فـ" نظرية المقصدية وسط بين طرفين متضادين: التأويلات اللامتناهية التي قد تكون متناقضة، والتأويل الحرفي الوحيد؛ إذ هي تنطلق من ثبات المعنى لثبات مقاصد المؤلف، ومن تغيرات التأويل الخاضع لإلزامات عصر المؤلف والسياق الذي يعيش فيه"(١)، والمقصدية تنكشف في بعض نتاج المؤلف، وتستتر في بعضه الآخر، فلا يكشفها إلا السياق غير اللغوي. وعند عائشة _رضي الله عنها_ جاءت مقصديتها واضحة في ردها على القعقاع بن عمرو عندما سألها عن سبب مجيئها إلى البصرة؛ وذلك عندما "بعث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب القعقاع بن عمرو رسولا إلى أم المؤمنين وطلحة والزبير بالبصرة فبدأ القعقاع بعائشة _رضي الله عنها_؛ فقال: أي أماه! ما أقدمك هذا البلد؟؛ فقالت: أي بني! الإصلاح بين الناس"(٢).

فخطبتها الأولى كانت في الدفاع عن أبيها، ولكن ما حاجتها إلى الدفاع عن أبي بكر أو عمر وهي والعقلاء من الصحابة أو التابعين يعلمون جيدًا من هما، وماذا قدما لنصرة الإسلام وتثبيت أركانه؟ وقد عالجت مشاعرها بوصفها ابنة أبيها تتألَّمُ لسبه باحتساب الأجر له ولخليفته؛ وذلك مرويٌّ في الآتي: "عن جابر _رضي الله عنه_ قال: قيل لعائشة : إن أناسا ينالون أصحاب رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ حتى أبا بكر وعمر، فقالت : وما تعجبون من هذا ؟ انقطع عنهم العمل،

(١) مفتاح، محمد، مجهول البيان، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٠م، ص ١٠٦.
(٢) ابن كثير، لحافظ أبو الفداء، البداية والنهاية، دقق أصوله وحققه، أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ، ص١٩٣.

فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر"[١]. إنَّ الشيءَ الوحيدَ الذي يسوغ تصدّيها لمن سبّ أبابكر وعمر هو الرغبةُ في دحض الفتنة التي قد تجرّ إلى صراعات بين المسلمين تؤدّي بهم نحو الفرقة والاختلاف، وتدفعهم إلى التشكيك في الرسالة، ومن ثم الاندفاع إلى مزالق كثيرة تتعارض والإصلاح؛ لذلك جاء في آخر الخطبة مقالها: " أنشدكم الله هل أنكرتم مما قلت شيئا؟ قالوا اللهم لا"[٢].

وكذلك كانت خطبتها بعد مقتل عثمان؛ إذ بها كشفت عن رأيها صراحة، لا سيما قد كان ينزل بها من يستشيرها في خلافة عثمان، فأعلنت وقوفها ضدّه إن كان ممن تآمر على قتل عثمان، وهي بذلك تضع حدًّا للخلاف الذي قد يورث فرقةً، معتقدةً أنهم استشاروها طلبًا للمشورة لا رغبة في الفتنة؛ فظنت في قولها اجتثاثًا للخلاف وإحداثًا للاصطلاح بين الناس، والتوحد على رأي جامع، وإنهاء للخلاف؛ فقالت:" والله لأصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم"[٣].

وفي المريد فصّلت في شأن قتلة عثمان؛ وكيف كانوا يطلبون رأيها عندما كانوا قِلةً، وكيف كاثروه عندما قدروا على ذلك، ثم أعلنت أن الإصلاح _ غايتها_ لن يكون إلا بتحكيم كتاب الله وتنفيذ القصاص.

---

(١) ابن الأثير، الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد، جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، حققه : الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، سوريا، ط٣، ١٤٣٧-٢٠١٦م، ٥٥٣/٨.

(٢) الأنباري، شرح خطبة عائشة في أبيها، مصدر سابق ، ص٢٥.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٣٤.

وفي موقعة الجمل؛ قالت: "وأنا نصب المسألة عن مسيري هذا لم ألتمس إثما ولم أؤرث فتنة أو أوطئكموها"(١)، فقد كانت تدفع عن نفسها ما يعارض الإصلاح ممّا اتُّهمت به.

لقد تدخَّل السياق المقامي بما يشمله من: مرسل، ومرسل إليه، ونوع ما يجمعهما من علاقات مشتركة، أو افتراضات مسبقة، وكذلك نوع ما يحكم علاقتهما من سلطة، علاوة على مكان الخطاب وزمانه، والمقصدية العامة التي توجهه في اختيار السيدة عائشة لاستراتيجيات خطابها؛ فتنوعت اختياراتها، وجاء خطابها حاملًا لأكثر من استراتيجية، سنأتي عليها فيما يأتي:

الاستراتيجية التضامنية:

وهي طريقةٌ في إنشاء القول يعتمدها من يريد تمتين الصلات مع المخاطب، أو إيجاد علاقات من المودة والاحترام تجمعهما؛ فهي: "الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها، ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالا هي محاولة التقرب من المرسل إليه وتقريبه"(٢)؛ لذا لا يوجد لها في خطاب السيدة عائشة ظهورٌ واضحٌ؛ إذ إنها _رضي الله عنها_ لم تبتغ في إرسال خطابها تمكينًا سياسيًّا أو نفعًا أدبيًّا؛ لذلك نجد أن البون شاسع بين خطبها والنمطية المعروفة التي يعتمدها

(١) المصدر السابق نفسه، ص٤٠.

(٢) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص٢٥٧.

الخطباء لاستدراج الجماهير[١]؛ حيث يستخدمون الكثير من الاستراتيجيات التي تهدف إلى إقناع المتلقي، وكسب ثقته، وحيازة صوته، ومن ثم نيل تأييده.

لقد بدأت _رضي الله عنها_ خطبها بمقدمات مبتورة لا حمد فيها ولا صلاة على نبيه، مباعدةً بين قولها وبين مقدمات الخطب المعروفة، ثم لم تحرصْ على نداء المخاطبين بما يحبون، ولم تضمِّن ثنايا خطابها تملقًا لهم بمدح أو تأييد بل حافظت على سلطتها بوصفها أمًّا للمؤمنين؛ فخطبت، وعاتبت، ووبّخت حتى دون الحاجة إلى تذكيرهم بمكانتها، فأمومتها كانت بقرآن منزل، من يؤمن به فقد آمن بصحة أمومتها؛ قال تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُم}.(سورة الأحزاب، آيه٦)

عدا خطبتها في موقعة الجمل؛ إذ اضطرها تجرّؤ بعضهم على انتقاد مسيرها إلى البصرة، واتخاذه ذريعة للقدح في سلامة غايتها لتذكيرهم بأمومتها؛ فبدأت خطابها قائلة:" صه صه إنّ لي عليكم حرمة الأمومة وحق الموعظة، لا يتّهمني إلا من عصى ربه"[٢]، مخترقةً في استخدامها للفعل اللغوي (صه صه) مبدأ الوجه الجالب،

---

(١) " من واجبات الخطيب أن يعرف نفسه ونفوس السامعين؛ كي يستطيع استغلال الكامن من قواه وقواهم، ويقدم لهم ما يوافق عقولهم معنى وأسلوبا، ومن واجباته _أيضا_ أن يكون له من المعارف والعلوم ما يستطيع معه أن يجول في موضوعه، وأن يجيب على أي تساؤل، ويرد على كل اعتراض. وبقدر ما يكون الخطيب مثقفا يستطيع أن يتكلم في اطمئنان وسلطان. ومن أروع مظاهر الإدراك والثقافة الحجة القوية، وهي من ضرورات الاقناع لا يتم إلا بها، وهي تساعد على إزالة الأوهام ورد الحجج ودحض الآراء" ترحيني، فائز، أدب الخطابة في صدر الإسلام، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١٩٩٠،١م، ينظر: ابن عياد، محمد، المقام في الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، ٢٠٠٤م، ص١٣.

(٢) الأنباري، شرح خطبة عائشة في أبيها، مصدر سابق، ص٣٧.

غير مكترثة بمشاعر المخاطبين أو متكلفة لهم بقول يستدرجهم، بل بادرت إلى الاستهجان والنقد لما يتقوَّلُه بعضهم، ثم ذكرتهم بحق الأمومة، وربطت بين هذا الحق ورضى الله _عز وجل_ في قولها: (لا يتهمني إلا من عصى ربه) مخترقةً به قواعد التأدب الأقصى لا سيما قاعدة التواضع، ثم أخذت تسرد على السامعين فضائلها؛ إمعانًا في ذلك؛ تقول: "مات رسول الله بين سحري ونحري فأنا إحدى نسائه في الجنة، له ادخرني ربي وخلصني من كل بضاعة، وبي ميز منافقكم من مؤمنكم، وبي أرخص الله لكم في صعيد الأبواء ...."[١] وفي آخر الخطبة أعلنت عن هدفها من الخطاب وهو الدفاع عن نفسها، وإعلان بُعدِها عن الإثم أو عن تقصد بث الفتن، أو عن إدخالهم فيها؛ مخترقة بذلك قاعدة التأدُّب للاكوف لا سيما مبدأ التخيير؛ إذ دفعتهم نحو اتخاذ قرار واضح بشأن ما يتردّد حول سيرها للمطالبة بدم عثمان رضي الله عنه؛ فقالت :" وأنا نصب المسألة عن مسيري هذا، لم ألتمس إثما، ولم أورّث فتنة أو أوطئكموها"[٢]، ثم قالت :" أقول قولي هذا صدقا وعدلا وإعذارا وإنذارا "[٣] فخرقت مبدأ الوجه مرة أخرى، لكنها تقصّدت الوجه السالب هذه المرة؛ وذلك من خلال التهديد الذي حمله لفظ (الإنذار).

أما مبدأ التعاون الذي "يرتكز عليه المرسل للتعبير عن قصده مع ضمانة قدرة المرسل إليه على تأويله وفهمه "[٤]؛ إذ إن التعاون يعني: الرغبة الواحدة في إنجاح الخطاب، وهي رغبة يتقاسمُها المتخاطبون "فمبدأ التعاون يُمكِّنُ المشاركَ في كلِّ

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص٣٧.

(٢) المصدر السابق نفسه ، ص٤٠.

(٣) المصدر السابق نفسه ، ص٤٠.

(٤) الشهري، عبدالهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، مرجع سابق، ص ٩٦ .

تحاور من أن يتواصل بافتراض أن المشارك الآخر متعاون، وعلى هذا فمبدأ التعاون وظيفته تقوم في تنظيم ما تقوله على أن يسهم في فعل الكلام أو في دفع غرض الخطاب"[١]؛ فقد جاء خطابها _ في أغلبه_ متكيفًا مع قواعده الأربعة (الكم، النوع، المناسبة، الطريقة).

فالقاعدة الأولى: الكم "لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته، لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب"[٢]، جاءت محققةً في خطبها؛ فخطبتها يوم الجمل _مثلًا_ استوجبها ما لحقها وأباها وعمر من انتقاد تكلم به من يرى في نفسه فهمًا للدين يفوق فهمها وفهم خليفتي رسول الله، فردت عليهم بمدائح ارتبطت بالدين، فمدحت نفسها وأبا بكر وعمر بما يظهر خدمتهما لهذا الدين. وعن قاعدة الكيف" لا تقل ما تعلم كذبه، لا تقل ما ليس لك عليه بينة"[٣]، فقد كانت صادقة في كل ما قالته، والبراهين عليه يعرفها القاصي والداني، وهو صدقٌ ظاهرٌ بيّن، أما ما يخص استعمالها لبعض الصور البيانية فهو استعمالٌ لا يتعارض وقاعدة الكيف؛ إذ إنها جزء من تكوينها اللغوي لا يحجب المعاني أو يباعد بينها والمتلقين. أما عن قاعدة المناسبة: "ليناسب مقالك مقامك"[٤] فقد ناسب قولها مقامها في عموم منطوقها؛ إذ أسهبت في خطبة الدفاع عن أبيها في وصف أبي بكر وذكر فضله، في الوقت الذي زاوجت بين مدحه ومدح نفسها ومدح عمر بن الخطاب في خطبتها يوم موقعة

---

(١) ليتش، جيوفري، مبادئ التداولية، ترجمة: عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٣م، ص ١١٠.

(٢) عبدالرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م، ص ٢٣٨.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٢٣٨.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص ٢٣٨.

الجمل؛ لأن هدفها كان الدفاع عن نفسها أولًا، ومن ثم الدفاع عن الشيخين اللذين طالهما اللوم على خروجها. أما عن قاعدة الطريقة: "لتحذر من الالتباس، لتحذر من الإجمال، لتتكلم بإيجاز، لترتب كلامك"[١] فقد ساعدت كفاءتها اللغوية والتداولية في تحقيقها.

وجاء خطابها _أيضًا_ منسجمًا مع مبدأ التصديق الذي صاغه طه عبدالرحمن، واختصاره: "لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك"[٢]؛ إذ كانت صادقة فيما نسبته لنفسها

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٢٣٨.

(٢) الشهري، عبدالهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، مرجع سابق، ص ٩٤، "ينبني هذا المبدأ على عنصرين اثنين: أحدهما، نقل القول الذي يتعلق... بالجانب التبليغي من المخاطبة، والثاني، تطبيق القول الذي يتعلق... بالجانب التهذيبي معا "طه عبدالرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص٢٤٩.

ويستخرج نوعين من القواعد؛ هما: قواعد التواصل وقواعد التعامل. فقواعد التواصل هي قواعد مضبوطة، وجدها مجتمعة ومفصلة عند الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين، وهي ما يسميها " شروط الكلام ... وهي أربعة : فالشرط الأول: أن يكون الكلام لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر. والشرط الثاني: أن يأتي به في موضعه، ويتوخى به إصابة فرصته، والشرط الثالث: أن يقتصر منه على قدر حاجته. الشرط الرابع: أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به."

أما قواعد التعامل؛ فهي:

قاعدة القصد: لتتفقد قصدك في كل قول تلقي به إلى الغير.

قاعدة الصدق: لتكن صادقا فيما تنقله عن غيرك.

قاعدة الإخلاص: لتكن في تودد للغير متجردا عن أغراضك.

إذ يترتب على قاعدة القصد أمران ، أحدهما: أنها تصل المستوى التبليغي بالمستوى التهذيبي، إذ يتعين في تبيين القصد نتيجتان هما : تحديد المسؤولية الأخلاقية، والأخرى إفادة المرسل إليه المعنى المقصود " ينظر: طه عبدالرحمن، اللسان والميزان، ص ٢٥٠_٢٥٣ ، وكذلك كتاب الشهري، ص ٩٤_٩٥.

من فضائل أثبتها القرآن الكريم، وكانت صادقة في وصفها لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكانت صادقة في تصريحها بسبب سيرها مع الجيش المطالب بدم عثمان.

لقد وضع النقاد مبادئ للتخاطب، جزء منها _وأعني به: مبدأ التصديق الذي وضعه طه عبدالرحمن ممثلًا به إضافة للنقد العربي المعاصر، ومبدأ التعاون الذي وضعه غرايس_ كانا مبدأين يتحينان الصدق والإخلاص والوضوح فحسب؛ لذا نجدهما واضحين في خطاب أم المؤمنين، وأظهر وجودهما حرصها _رضي الله عنها_ على الجانب التبليغي. أما بقية مبادئ الخطاب مما يقدم التهذيب على التبليغ _وأعني: مبدأ التأدب، ومبدأ الوجه، ومبدأ التأدب الأقصى _ فقد استهدفت التقرب إلى المخاطب بوسائل وأدوات شتى، غايتها استمالته، ولو كان الاحتيال سبيلهم لتحقيق هذه الغاية؛ لذا لا نجد لها مكانًا ظاهرًا في خطاب أم المومنين _رضي الله عنها_ بل يظهر تجاوزها الدائم لهذه المبادئ، وهو تجاوز مَن يتجنب المراوغة، ويترفع عن المغالطة؛ فلم تبنِ استراتيجياتها في مخاطبة المتلقي على مقدمات توصلها لموضوعها الأساس، بل نجد هجومًا على الموضوع الأساس ومنذ الوهلة الأولى؛ ففي خطبتها يوم الجمل بدأت بـ(صه صه) أي: اسكتوا عن تداول هذا الكلام الذي لا طائل منه، منجزةً بذلك معنى الاستهزاء بهذا الكلام الذي لا دليل عليه بل ويخالف الحقيقة، ثم إن كنتم ترون في أنفسكم أنكم تدافعون عن الدين؛ فكيف تهجون أقرب الناس إلى الدين؟ ومن خدمه وخدم رسوله، ثم تحدثت عنها وعن خليفتي رسول الله أبي بكر وعمر.

وكذلك فعلت في مقدمات كل خطبها؛ ففي خطبتها التي تدافع فيها عن والدها ابتدأتها بقولها: "أبي وما أبيه"[١] فبدأت بما أثار قريحتها ودفعها إلى إسدال الستار،

(١) الأنباري، شرح خطبة عائشة في أبيها، ص٢٠.

وتعلية الوساد، والإجهار بالصوت، ألا وهو الدفاع عن أبيها؛ إذ افتتحت خطابها بجملة تعجبية تفيد التعظيم، ثم أثبتت هذه العظمة بما سكبته من صفات.

وفي خطبتها بعد نزول خبر مقتل عثمان عليها نادت في الناس، وابتدأتهم بهجومها على المعتدين؛ فقالت: "أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه، وعبيد أهل المدينة، اجتمعوا على هذا الرجل المقتول..."[1] وخطبتها في المربد التي أرادت بها الأخذ بثأر عثمان ابتدأتها بالحديث عن عثمان وتجني القوم عليه؛ فقالت: "كان الناس يتجنون على عثمان رضي الله عنه ويزرون عماله ..."[2]. وكذلك فعلت في خواتيمها؛ إذ جاءت مفاجئة تطلب بها ما بنت خطابها لأجله؛ لذا ضمنتها الاستراتيجية التوجيهية وإنما أشير لها هنا لإثبات بعد السيدة عائشة رضي الله عنها في خطابها عن التملق.

الاستراتيجية التوجيهية :

إن مقصدية الإصلاح التي استبدت بخطاب أم المؤمنين، ودفعتها دفعًا لإنشاء القول هي التي ستجعل الاستراتيجية التوجيهية ذات حضور قوي وفاعل في خطابها، بل لُب خطابها؛ لا سيما بعد وضوح تجرد خطابها من الرغبة في التضامن؛ فخطبها _رضي الله عنها_ ما كانت لتكون لولا رغبتها في توجيه المخاطبين ودفعهم إلى ما ترى في تنفيذه ضرورة ملزمة يحتّمها كل ما ساقته من حجج سبقت توجيهها؛ فالتوجيه يمثل الهدف الأساس الذي سيقت من أجله كل خطبها؛ ولأن من عوامل نجاح التوجيه وجود سلطة يتعلق بقوتها قوة الاستجابة وجدنا السيدة عائشة توظف في سبيل تحقيق أهدافها سلطتها الدينية بوصفها زوج الرسول صلى الله عليه وسلم،

(١) المصدر السابق نفسه، ص٣٣.

(٢) الأنباري، شرح خطبة عائشة في أبيها، ص٣٥.

وسلطتها الرمزية والنفسية بوصفها أمًّا للمؤمنين، وسلطتها العلمية بوصفها راوية لأكثر من ألفي حديث، تحفظها وتفهم مقاصدها، علاوة على ما أخذته عن والدها من معارف، وما نهلته من بيت النبوة من علوم الشرع والحياة، كل هذا خولها لاعتماد المباشرة في إرسال النصائح وتوقع الاستجابة السريعة التي تضمن تحقيق الإصلاح (مقصدها الرئيس). وقد أرادت تثبيت هذه الفروق بينها وبين المخاطبين وتذكيرهم بها علّ في ذلك ما يدفعهم نحو التنفيذ المباشر، دون الأخذ والرد الذي أودى بهم إلى فتنٍ تعقبها فتنٌ أذهبت بحياة أحد أفضل أصحاب رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ ومبشر من المبشرين وزوج ابنتيه؛ لذلك نجدها تذكر فضائلها في خطبتها يوم الجمل قبل دعوتهم للكف عن لومها، وذكرت فضائل والدها في دفاعها عنه قبل طلبها الكف عنه، "فتوفر السلطة لدى المرسل شرط أساس عند استعمال معظم آليات استراتيجية التوجيه، حتى لو كانت السلطة مختبئة وراء المرسل، مثل: السلطة الدينية التي تسوغ استعمال هذه الاستراتيجية لمن يريد توجيه الناس وتبليغهم بما توجبه الشريعة"(١)، وهذا ما سوَّغ لها التذكير بسلطتها ومكانتها الدينية والاجتماعية.

والاستراتيجية التوجيهية تتسم "بالوضوح في التعبير عن قصد المرسل، فوضوح القصد سبب في عدم حيرة المرسل إليه؛ مما يضمن تحقيق هدف المرسل بنوعيه الكلي والنفعي في العالم الخارجي، ولن يستطيع المرسل إليه بلا شك أن يحقق الهدف الذي ينشده المرسل إذا كان الخطاب غامضا أو يحتمل أكثر من تأويل، بل قد ينطوي على نتائج وخيمة إذا لم يفعل المرسل إليه مضمون التوجيه المقصود؛ وعليه فإن من مميزات التوجيه الصريح أنه لا يستلزم أكثر من قصد للخطاب، وبالتالي فإنه

(١) الشهري، عبدالهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، مرجع سابق، ص ٣٢٥.

لا يدع للمرسل إليه فرصة التأويل أو التملص من مضمونه"[١]، وهذا ما أرادته من التوجيه المباشر.

فأدوات التوجيه تكون مباشرةً، وهي مما عُرف وعُرِّف به في الدراسات العربية القديمة ضمن علوم علم المعاني، فسُميت بالجمل الإنشائية، ووضعت على طرف نقيض من الجمل الخبرية، ونجدها _أيضًا_ في دراسات النحويين والصرفيين ودراسات علماء الأصول تحت أسماء مختلفة، وهي _أيضًا_ ما تحدثت عنه النظريات المعاصرة لا سيما نظرية الأفعال الكلامية، فانسل التوجيه بوصفه نوعًا من أنواع أفعال الكلام أسماه سيرل: (الأفعال التوجيهية)، وجعلها ضمن أصناف أفعال الكلام الخمسة، التي "يكون محتواها القضوي دالا على إرادة عمل شيء في المستقبل، والأفعال التي تمثل هذا الصنف؛ هي أفعال: (السؤال والطلب والالتماس أو الاستجداء والتضرع والتوسل أو الاستعطاف والتشجيع والإذن، وكذلك النصح والتحديات ، بل والاعتراضات) التي صنفها أوستين قبله على أنها من السلوكيات"[٢]. أما ما يخص الأفعال الكلامية غير المباشرة التي تحدث عنها سيرل، فإنَّها وإن دلت على التوجيه تخرج من الاستراتيجية التوجيهية؛ لأنها تتصف "بالعمومية التي تخرجها من الاقتصار على بعد واحد؛ إذ يمكن المرسل أن يستعملها في أي شيء، لأنها تتعلق بكيفية التعبير عن القصد"[٣] ولو اعتمدتها لتحول خطاب السيدة عائشة كله إلى حدث كلامي واحد يحمل توجيهًا فحسب، ويحقق مقصدية واحدة، وهي الرغبة في الإصلاح، وهذا يتنافى وهدف البحث الذي أراد إيجاد أكثرَ من استراتيجية في خطبها.

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٣٢٧.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٣٣٦.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص٣٣٩.

وجاءت الدراسات العربية الحديثة لتجمع بين المعاصر الغربي وما جاء في التراث، فنجدهم عندما يعرفونها يختصرون ذلك في قولهم: "وهي تضم كل الأفعال الكلامية الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغتها وهو أمر أخذ به الأصوليون والفقهاء وبعض المتكلمين"(١).

وعائشة _رضي الله عنها_ في خطبها الأربعة أرادت أمرين يمثلان أهدافها المباشرة من إلقاء خطبها، وفيهما ظهرت الاستراتيجية التوجيهية؛ الأول: الكف عن إلحاق الأذى بوالدها وبها، والثاني: إيقاف قتلة عثمان وإقامة حد الله.

فأما التوجيه الأول فقد أفردت له خطبتها الأولى التي سردت فيها مدائح اختص بها أبو بكر _رضي الله عنه_ وهي مدائح أرادت بها الذبَّ عن عرضه إلى أن توصلت في خاتمتها إلى سؤالهم بعد أن "أقبلت على الناس بوجهها، فقالت: أنشدتكم الله هل أنكرتم مما قلت شيئا؟ قالوا : اللهم لا"(٢)، وقد حمل هذا الاستفهام وجوابه ما يُظهر استجابتهم لكل ما قالته، وفهمهم للتوجيه الذي أرادته بكل خطابها. وفي موقعة الجمل صرَّحت بمثولها أمامهم للإجابة عن أسباب مجيئها؛ في توجيهٍ للكف عن عرضها، و عن انتقاد مسيرها، واستبدال ذلك بتوجيه اللوم المباشر لها في حضورها وتحت مرآها ومسمعها، وتمكينهم من سؤالها عن أسباب سيرها، ووعدهم بالإجابة؛ في محاولة منها لإصمات الألسن التي تحيك في التجمعات ما يثير الفتن ويُؤلِّب القلوب؛ وذلك في قولها :" وأنا نصب المسألة في مسيري هذا"(٣)، ثم نفت أن يكون مجيؤها طلبا للفتنة قائلة: "لم ألتمس إثما ولم أوثر فتنة أو أوطئكموها ، أقول قولي

---

(١) نحلة، محمود، نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مج١، عدد١، ١٤٢٠،١٩٩٠م.ص١٩٦.

(٢) الأنباري، شرح خطبة عائشة في أبيها، ص٢٥.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص٤٠.

هذا صدقا وعدلا وإعذارا وإنذارا، وأسأل الله أن يصلي على محمد، وأن يخلفه فيكم بأفضل خلافة المرسلين"(١).

وأما التوجيه الثاني: فقد ظهر في قولها: " ألا إن مما ينبغي، لا ينبغي لكم غيره، أخذ قتلة عثمان وإقامة كتاب الله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ}(سورة آل عمران، آية٢٢). مستخدمة فيه أسلوب الحض باستخدام (ألا)، وبإيراد دليل من القرآن الكريم _يُصنَّف ضمن حجة السلطة_ حققت به التوجيه؛ فالأمر بأخذ القتلة أمر لا يعود إليها، إنما هو أمرٌ رباني. واستخدمت _أيضًا_ لتحقيق التوجيه الثاني القسم، وهو مما يكشف عن إفادتها من سلطتها الدينية؛ فمثلُها لن يُقسم بالله إلا على ما هو حقٌّ، وتصديق قسمها أمر مفروغ منه؛ إذ مثلها لا يمكن تكذيبه لا سيما قد أقسم بالله؛ في قولها: "والله لأصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم . والله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء"(٢).

إن استعمال الاستراتيجية التوجيهية يرتدُّ إلى رفض فعلٍ أو سلوكٍ كان في زمن ماضٍ، أو في الحض على فعلٍ يرجو المتكلم أن يكون في المستقبل؛ وهذا ما دار عليه توجيهها _رضي الله عنها_ ففي رغبتها الكف عن عرضها وعرض والدها كان توجيهًا للكف عما كان، أما في رغبتها الأخذ بدم عثمان فقد كان توجيهًا لضرورة الالتزام بعمل في المستقبل.

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص٤٠.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص٣٤.

لقد أنجزت السيدة عائشة توجيهاتها باستخدام الأمر والنهي والاستفهام والحض، وبجمل خبرية تتغيا التوجيه، وبتوظيف آيات قرآنية توجه إلى ما استهدفته من أغراض، وما أرادت تحقيقه بخطابها من أفعال، وهي بعض الآليات المستخدمة لتحقيق التوجيه.

الاستراتيجية التلميحية:

لاستهداف الاستراتيجية التلميحة مسوغات كثيرة؛ منها: التأدب في الخطاب؛ وذلك بحجب كل ما من شأنه الإقلال من قيمة المخاطَب أو المساس بذات المتكلم، أو الوقوع في بعض المحرمات اللغوية. والإعلاء من قيمة المرسل على حساب الآخرين، كأن يسوق معايبهم أو ينتقص من قيمة أعمالهم في إشارة لتفوقه، ويلجأ _أيضا_ للتلميح من يريد التملص من مسؤولية خطابه، فيعتمد ما يُمَكِّنه من المراوغة في أثناء المساءلة، أو بهدف مراعاة مشاعر الآخرين، وإعطائهم فرصة للمناورة لا سيما عندما يمتلك المتكلم السلطة، ويلجأ بعضهم لهذه الاستراتيجية للاكتفاء بخطاب واحد يعادل بثنائية معانيه خطابين.(١)

وقد فرَّع الشهري الاستراتيجية التلميحية من معيار شكل الخطاب، وجعلها نظير الاستراتيجية المباشرة، ثم عرفها بأنها: "الاستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي لينجز بها أكثر مما يقوله إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناص السياق"(٢)؛ فالسياق هو الدافع وراء استخدامها، وعليه يُعولُ المتلقِّي فهم

(١) ينظر: الشهري، عبدالهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، مرجع سابق، ص ٣٧٠- ٣٧٤.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٣٧٠.

النص، واستنطاق ما خفي من دلالاته مما استبطنه المتكلم، ولإجرائها وسائل كثيرة؛ منها: أفعال الكلام غير المباشرة، والاستعارة، والكناية، والتشبيه، والتعريض، وغيرها من أدوات درج على استخدامها الأدباء في فنون الأدب المختلفة؛ مما جعلها متاحة لمن أراد المباشرة أو طلب التلميح؛ فليس وجودها يعني تقصد التلميح، وليس شرحها والتفصيل في بلاغتها وأثرها يعني استظهار ما خفي من معانٍ، فاستخدام هذه الآليات عائد في أكثره إلى المخزون الثقافي للغة، ومن ثم إلى كفاءة المتكلم اللغوية؛ لذا فإن الاعتداد بوجود مثل هذه الوسائل في نص أدبي ما، ومن ثم تصنيف استراتيجيته بناء على ذلك تحت الاستراتيجية التلميحية أمر يخالف طبيعة اللغة التي تأسست على المجازات وقدرتها على نقل ما يعتري الفكر من فيض المعاني، مما لا يمكن للغة الإحاطة به دون الاتكاء عليها أو الإفادة مما تحيطه من دلالات؛ وعليه فإنَّ اكتظاظ خطب السيدة عائشة بوسائل البيان المعروفة لا يعني تقصدها التلميح، لكنها طريقتها في إيصال المعاني، ووصفٌ لكفاءتها اللغوية وما امتازت به من قدرة على استخدام الخيال، وتوظيف صور البيان المختلفة في خطابها. فخطب السيدة عائشة _رضي الله عنها_ واضحة المقاصد، وتوجيهها ظاهر، وأهدافها ترى منذ القراءة الأولى، رغم وجود الكثير من الكنايات والاستعارات ومع وجود الأفعال لغوية غير مباشرة، إلا أن الحُكم بعدم مباشرتها وتسويغ ذلك بتوافر أدوات التلميح يجانب الصواب؛ فالهدف من تحديد الاستراتيجية هو معرفة ما أضافته إلى الدلالة من معاني التداول؛ فإن أعطاها الاستعمال تلميحًا فهي استراتيجية تلميحية، وإن لم يعطها وأفاد وضوحًا فهي غير ذلك، وإن كثرت فيها أدوات التلميح.

وفي مدونة السيدة عائشة لم ألحظ التلميح لديها _رضي الله عنها_ إلا في مواضع محدودة سآتي على ذكرها مع مسوغات ظهورها في خطبها التي استبد بها الوضوح.

فأما الموضع الأول، فكان في أثناء فخرها بنفسها أو الفخر بوالدها، والفخر بالنفس سمة تتعارض وما عُرفت به وعليه نشأت؛ إذ كان سيد الخلق قدوتها في التواضع وحسن الخلق، لكنها اضطرت إليه اضطرارًا، فما ألحقه بها وبأبيها بعض المتقوِّلين من ضرر أكرهها _طلبا في الدفاع _ إلى التعريف بفضلها أو فضل والدها؛ مما ألجأها إلى التلميح؛ في محاولة لتخفيف وقع هذا الفخر على المتلقي، ثم إنها لم تأت إلا بما صدَّقه كتاب الله من صفات عُرفت بها هي ووالدها الصديق _رضي الله عنهما_ فالنص الخطابي لديها جاء انعكاسًا للمادة الدينية والتاريخية والحديثية.

تقول في وصف أبي بكر رضي الله عنه: "أبي وما أبيه"(١) فافتتحت الخطبة بهذه الجملة الخبرية التي تحمل التعظيم لشخص والدها، لافتةً النظر إلى أنها ستختصُّه بالثناء في خطبتها، مفيدةً العموم، ثم أخذت في تفصيل أسباب إطلاق هذا الحكم بما أدرجته من مجازات عكست هذه العظمة، لكنها كانت واضحة الدلالة يصعب إدراجها ضمن الاستراتيجية التلميحية؛ إلا في بعض المواضع؛ ومنها قولها: "لا تعطوه الأيدي"(٢)، فالمجاز المرسل هنا ألمح إلى عدم القدرة على المساس بشخصه، وأنَّ غاية ما استطاعه أولئك الحاقدون كان التقوُّل عليه _رضي الله عنه_ فحسب، فالتلميح هنا يشير إلى فعل الشتم الذي تسبَّبَ في إنتاج الخطاب.

وقولها: "سبق الجواد إذا استولى على الأمد"(٣)؛ إذ تُلَمِّح هنا إلى سبقه للإسلام، وسبقه معروف وتصديقه للنبي محمد _صلى الله عليه وسلم_ متفق عليه؛ وقد كان السبب في تلقيبه بالصديق؛ قال رسول الله صلى عليه وسلم: ما كلمت في الإسلام أحدا إلا أبى علي وراجعني الكلام إلا ابن أبي قحافة فإني لم أكلمه في شيء

(١) الأنباري، شرح خطبة عائشة في أبيها، مصدر سابق، ص٢٠.
(٢) المصدر السابق نفسه، ص٢٠.
(٣) المصدر السابق نفسه، ص٢٠.

إلا قبله"[١]، فكان أول من استجاب لدعوة النبي من الرجال، وعَن زيد بن أرقم، يقولُ: أوَّلُ من أسلمَ عليٌّ. قالَ: عَمرو بنُ مُرَّةَ، فذَكَرتُ ذلِكَ لإبراهيمَ النَّخعيِّ، فأنكرَهُ؛ وقالَ: أوَّلُ من أسلمَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ"[٢]، ومن تعوده السبق _رضي الله عنه_ إنشاء أول مسجد في الإسلام سبق به مسجد قباء؛ وقد ألمحت لهذا المسجد غير المعروف؛ بقولها: "حتى اتخذ بفنائه مسجدا يحيى فيه ما أمات المبطلون"[٣]، وقد جاء ذكره في صحيح البخاري بوصفه أول مسجد في الإسلام [٤].

ثم أشارت إلى مكانته في الجاهلية، وبداية البعثة، وبعد الهجرة، ثم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، في تسلسل لم تبتغ منه إلا إثبات تفوقه وفضله ومكانته، وهو فضل لم يُحدّ بزمان ولا مكان، إنما كان ديدن أبي بكر الصديق وجزءًا من تكوينه؛ فهو "فتى قريش ناشئا، وكهفها كهلا" وما بين النشأة والكهولة فضائل لا تحصى.

ثم قالت " فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم، اضطرب حبل الدين، ومرج عهده، وماج أهله، وبغي الغوائل، ونصبت له الحبائل، وظنت رجال أن قد أكثب نهزها، ولات حين الذي يظنون، وأنى والصديق بين أظهرهم"[٥]؛ أتت هنا باستفهام يحمل تلميحًا، ولا يرجو جوابًا، إنما أطلقته متحدية به من أراد هزم الإسلام بعد وفاة

---

(١) الراوي : عبدالله بن عباس |المحدث : شعيب الأرناؤوط |المصدر : تخريج العواصم والقواصم الصفحة أو الرقم:٣٣/٣ https://dorar.net

(٢) الراوي : طلحة بن يزيد مولى الأنصار أبو حمزة | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الترمذي | الصفحة أو الرقم : ٣٧٣٥.

(٣) الأنباري، شرح خطبة عائشة في أبيها، مصدر سابق، ص٢١.

(٤) صيح البخاري ، ٩٨/٣.

(٥) الأنباري، شرح خطبة عائشة في أبيها، ص٢٣.

الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو استفهام يظهر مدى تيقنها من قدرة أبيها على إحياء ما أماته المرتدون من شرائع كانت تُقام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أنه يبدي فخر وسعادة الابنة بوالدها لا سيما قد جاءت بلقبه (الصديق) في إشارة إلى استحضار ما يحف هذا اللقب من صمود وقوة أثبتها له التاريخ، لقد كانت حريصة على الإتيان بكل ما أُثبت تاريخيًا، أو بنص قرآني، أو ورد في سنة النبي محمد وسيرته، فلم تذكر من الفضائل ما تراه الفتاة في والدها، لكنها ذكرت ما رآه التاريخ وأثبته، وما نصّ عليه القرآن الكريم بدليل لا يقبل الجدل؛ لذا نجدها _أيضًا_ في خطبة يوم الجمل؛ تقول: "ثم أبي ثاني اثنين الله ثالثهما"(١)، ملمحةٌ إلى قصة خروجه مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي قصة أثبتها القرآن الكريم في سورة التوبة: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(سورة التوبة، آية:٤٠)

إن حرصها على تحين الصدق ظهر جليًّا في قولها: " وأول من سمي صديقا"(٢)؛ فالجملة تستوقف القارئ؛ إذ تثير تساؤلا عن الآخر الذي سُمي صديقًا، ولا أجد له تعليلًا إلا لعلمها _رضي الله عنها_ بأن ما تقوله سيكون للتاريخ، ولافتراض أن الزمن قد يُوجِدُ صديقًا آخر جاءت بالوصف الدقيق الذي يتناسب مع هذه الحالة؛ وهو: أن الصديق أبا بكر (والدها) هو الأول في حمل هذا اللقب.

(١) المصدر السابق نفسه، ص٣٨.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص٣٨.

وعندما أرادت مدح نفسها _رضي الله عنها_ ألمحت _أيضًا_ للآيات التي نزلت فيها؛ فقالت: "وبي ميز منافقكم من مؤمنكم، وبي أرخص الله لكم في صعيد الأبواء"(١)؛ ملمحة بذلك إلى آية براءتها {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(سورة النور، آية:١١)، وإلى نزول آية التيمم في سياق كانت هي سببه؛ فافتخرت بأنها كانت سببًا في نزول هذه الرخصة؛ قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(سورة المائدة، آية:٦). ومدحها لعمر بن الخطاب رغم تقديرها الجم لشخصه ما كان إلا من قبيل الفخر بوالدها؛ فالفاروق على ما هو فيه من العظمة كان في خطبتها دليلًا على بعد النظر الذي امتاز به أبو بكر؛ تقول: "فولى أمركم رجلا مرعيا"(٢)، وقولها :" فلما حضرت منيته سد ثلمته بنظيره في المعدلة وشقيقه في السيرة والمرحمة، ذاك ابن الخطاب"(٣)، فكل المدائح التي ساقتها للإشادة بعمر بن الخطاب ستنتقل بدهيًّا لمن ولاه أمر المسلمين، وتحدى به من انتقده ممن عارض فكرة توليته؛ لشدته وصرامته، ثم أثبت التاريخ جدارة عمر بن الخطاب للخلافة واستحقاقه لها؛ فمآثره مما عدته عائشة _رضي الله عنها_ أو سجله التاريخ لا تنتهي؛ لذا جاءت باستفهام خرجت به عن طلب السؤال إلى طلب

(١) المصدر السابق نفسه، ص٣٧.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص٣٩.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص٢٤.

البرهان؛ بقولها :" وأي يومي أبي تنقمون ؟ أيوم مقامه إذ عدل فيكم، أم يوم ظعنه إذ نظر لكم؟"[١] ملمحة إلى سداد اختياره لعمر بن الخطاب خليفة.

الموضع الثاني: ظهر التلميح في قولها: "فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، وأخذوا المال الحرام، والله لأصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم، والله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذا ماصوه كما يماص الثوب بالماء"[٢]؛ وأقول: تلميحًا؛ لأنها به أثبتت بُعد الهوة بين عثمان بن عفان وبين قتلته؛ فهم خبث وهو ذهب، وهو ثوب يكسي ويزين وهم درن، ثم إنهم مُدعون يُظهرون حرصًا على الإسلام وشرائعه، فيرون في قتله أمرًا مستوجبًا، لكنهم في الحقيقة بقتله لم يستحلوا دمه _فحسب_ بل استحلوا البلد الحرام والشهر الحرام والمال الحرام؛ فهم في الحرام منغمسون؛ فأي إسلام يزعمون؟ وأي شرع يبتغون؟ ما أرادوا إلا الفتنة، ولن يردهم إلا إقامة الحد الذي إليه دعت ومن أجله سافرت إلى البصرة.

هكذا ظهرت الاستراتيجية التلميحية في خطب السيدة عائشة بوصفها عضدًا يدعم مقصديتها الأساس (الإصلاح)، وأهدافها الجزئية (الدفاع عن أبي بكر، والمطالبة بالثأر لعثمان)؛ فلم تكن أساسًا في خطبها، لكنها التجأت إليها لتحقيق بعض الأغراض؛ ومنها: تجنب المدح المباشر لشخصها أو والدها، وإثبات التباعد الفج بين قتلة عثمان وبينه رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص٢٥.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص٣٤.

الخاتمة

هدفت الدراسة إلى استظهار مفهوم الخطاب واستراتيجياته، ومن ثم حصر الاستراتيجيات التي تبدت في خطاب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ وقد أسفرت الدراسة عن **بعض النتائج**؛ منها:

- لقد أنطقت الفتنة التي حلت بمجتمع المسلمين الإنساني والسياسي السيدة عائشة رضي الله عنها؛ ولولا خطورة هذا السياق التي استوجبت مقصدية الإصلاح ما خطبت في المسلمين؛ لذا لا نجد تضامنًا مع الجمهور، أو محاولة استدراج أو استرضاء مما يحف بفن الخطبة عادة.
- غلب الوضوح على خطابها، ورغم تجليه لم أتحدث عن الاستراتيجية المباشرة؛ فالمباشرة تتعارض مع الأدبية التي كانت من سمات خطابها، لكن الأدبية لا تتعارض مع الوضوح والمصداقية؛ لذا تحدثت عن الاستراتيجية التوجيهية؛ ويمكن التسويغ لهذا الوضوح بإنزال هذه الخطب ضمن خطب السياسة التي تستهدف إيصال الفكرة لا الإدهاش.
- اتساع مجالات استخدام الخطاب جعله مفهومًا مستعصي الفهم، لا سيما قد باتت اللسانيات بمنزلة الفلسفة في تعالقها مع شتي العلوم والمعارف.
- استراتيجيات الخطاب كثيرة كثرة الخطابات نفسها؛ لذلك لا يمكن حصرها أو البتُّ في عددها أو كينونتها أو آلياتها؛ ودراستها ومحاولة تحديدها ما هي إلا محاولات لإثبات ضرورة تغير الاستراتيجيات الخطابية بتغير السياقات والمقاصد؛ فالثبات على استراتيجيات محددة من شأنه أن يقطع التواصل أو يوقفه، كما يعكس اضمحلالًا فكريًا، وعيًا لغويًّا.

- الاستراتيجية التضامنية التي تستهدف استمالة المتلقي بآليات ترتهن بمبادئ التأدب المختلفة كانت باهتة الحضور، أو غير موجودةٍ؛ فهدف خطاب عائشة كان تبليغيًّا لا تهذيبيًّا.
- الاستراتيجية التوجيهية كانت أساس إنشاء الخطاب لدى أم المؤمنين وسببه؛ فتغيير ما كان من أخطاء، والأمر بما يُمكِّن الإصلاح هو هدف خطاب السيدة عائشة _رضي الله عنها_ ويمثل مقصديتها الأساس من اعتلاء منبر الخطابة، وإن قلَّت الأدوات التي تفصح عن وجود التوجيه، إلا أنه ظاهر في عموم الخطاب، وفي هدفه، وفي مقدماته وخواتيمه.
- أما الاستراتيجية التلميحية، فرغم وجود ما اتفق على وصفه بآلياتها، فإن وضوح دلالات هذه الآليات بالنسبة للمتلقي العربي جعلني أدخل معظمها ضمن كفاءتها اللغوية؛ ولم أصنف ضمن التلميح إلا بعض الإشارات البسيطة.
- تداخل الاستراتيجيات ظاهرة في الخطاب الأدبي؛ فمثلًا: الأفعال اللغوية التوجيهية أو الطلبية تدخل ضمن الاستراتيجية التوجيهية إذا ما طابق معناها الحرفي ظاهر اللفظ، في حين ستكون ضمن التلميح إذا ما خالف المنطوق الدلالة، كما يمكن إدخالها ضمن الاستراتيجية التضامنية إذا أسفرت عن رغبة في التهذيب؛ لذا فإن تحديد الاستراتيجية يتطلب فهمًا دقيقًا للسياق والمقاصد، والركون لآليات كل استراتيجية _فحسب_ قد يوصل لنتائج خاطئة.
- ما كُتب عن ارتحال السيدة عائشة _رضي الله عنها_ للبصرة ومطالبتها بدم عثمان، علاوة على ما تركته في هذا الشأن من خطب قمين بالدراسة والتحليل وتكرار النظر؛ للربط بين ما كان تاريخًا صرفًا، وما امتزج فيه التاريخ بالأدب من أخبار؛ ومما أقترحه بهذا الشأن دراسة (جدلية التاريخ والأدب من خلال كتب التاريخ؛ خبر عائشة _رضي الله عنها_ في موقعة الجمل أنموذجًا)؛ إذ قد تحمل مثل هذه الدراسة فوائد، وقد تصل إلى نتائج يصعب إيجاد من سبق إليها.

المصادر

الأنباري، محمد بن القاسم ، شرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها ، ويليه مجموعة لخطب أم المؤمنين رضي الله عنها، جمعها وحققها الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت– لبنان ، ط٢، د.ت.

المراجع

_ ابن الأثير، أبو الحسن علي، الكامل في التاريخ، صحح أصوله: عبدالوهاب النجار، د.ط، ١٣٥٦م.

_ ابن الأثير، الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد، جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، حققه : الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، سوريا، ط٣، ١٤٣٧-٢٠١٦م

_ ابن جني، أبو الفتح عثمان، اللمع في العربية، تحقيق: حامد المؤمن، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط٢.

_ ابن رمضان، صالح، التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٥م.

_ ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

_ ابن علي، محمد، الأجناس الوجيزة في النثر العربي القديم ، جامعة سوسه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط١، ٢٠١٣م.

_ ابن عياد، محمد، المقام في الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، ٢٠٠٤م.

ـ ابن فارس، أبو الحسن أحمد، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٩١.

ـ ابن كثير ، الحافظ أبو الفداء، البداية والنهاية، دقق أصوله وحققه، أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ.

ـ ابن منظور، لسان العرب،

ـ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٥٥، ج١، مادة خطب.

ـ الآمدي، علي بن محمد، الأحكام في أصول الأحكام ، تحقيق: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤٠٩/١٩٩٨م.

ـ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

ـ البكر، فهد، من أدب أم المؤمنين عائشة وبلاغتها العربية، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٧٣، ٢٠١٢م،

ـ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

ـ التهاوني، محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون، وضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨/١٩٩٨م.

ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٩٨٥م.

ـ الحصري القيراوني، إبراهيم بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت، د.ت.

_ الحنفي، عبد المنعم، موسوعة أم المؤمنين عائشة، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٣.

_ الخبو، محمد، الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة، دار صامد، صفاقس، تونس، ٢٠٠٣م.

_ الزركشي الشافعي، بدر الدين، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢١-٢٠٠١م.

_ الشهري، عبدالهادي بن ظافر، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان- بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

_ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، منشورات محمد علي بيضون، ودار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٩٩٧م.

_ العقاد، عباس، الصديقة بنت الصديق، دار المعارف، مصر، ط١١، ١٩٨٢.

_ الكوفي، أبو البقاء، الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، بيروت، ط١، ١٤١٢/١٩٩٢م.

_ المالكي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محب الدين بن الخطيب، محمود مهدي الإستانبولي، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٧- ١٩٨٧م.

_ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، ج٣، بيروت.

_ المحمدي، جابر بن بشير، خطبة عائشة رضي الله عنها في الدفاع عن أبيها دراسة أدبية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

ـ الندوي، السيد سليمان، سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، حققه وخرج أحاديثه: محمد الندوي، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠٠٣.

ـ النووي، أبو زكريا محي الدين، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٣٩٢.

ـ النويري، شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

ـ الهيص، فريدة، استراتيجيات الخطاب في مقامات الحريري، من سياقات التداول إلى شعرية السرد، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب واللغة العربية، تحت إشراف الدكتور/ محمد الأمين بحري، التخصص سرديات عربية، جامعة محمد خيضر، قسم الآداب واللغة العربية، بسكرة، الجزائر، سنة ٢٠١٤-٢٠١٥.

ـ بو جادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط٢، ٢٠١٢م.

ـ ترحيني، فائز، أدب الخطابة في صدر الإسلام، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١،١٩٩٠م.

ـ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٠هـ.

ـ ثقبايت، حامدة، قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، ٢٠١٢م.

ـ حمادي، الخطاب الشرعي وطرق الاستثمار، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

ـ خميس، محمد عطية، السيدة عائشة أم المؤمنين : حبيبة الحبيب، دار الدعوة، ط١، ١٣٩٦/١٩٧٥.

ـ سيرل: جون: العقل واللغة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، ٢٠٠٦، ط١، ص١٠٢.

ـ شلبي، محمود، حياة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، دار الجيل، ط١، ١٩٩٨.

ـ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٣٣م.

ـ طهماز، عبد الحميد محمود، السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام، دار القلم، ط٤، ١٩٨٨.

ـ عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م.

ـ عكاشة، محمود، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٣٥- ٢٠١٤م.

ـ علوي، حافظ إسماعيل وآخرون، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، ط١، الأردن.

ـ ف.عبد الرحيم، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠١١م.

ـ قياس، ليندة ، لسانيات النص النظرية والتطبيقية ، مقامات الهمذاني أنموذجا ، تقديم: عبدالوهاب شعلان، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩.

_ ليتش، جيوفري، مبادئ التداولية، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٣م.

_ مصطفى، صلاح محمد، دراسة مرشحة للفوز بمسابقة كاتب الألوكة الثانية، تاريخ الإضافة ٢٠١١/١٢/٢٨م.

_ مفتاح، محمد، مجهول البيان، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٠م.

_ نحلة، محمود، نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مج١، عدد١، ١٩٩٠، ١٤٢٠م.

_ يول، جورج ، التداولية، ترجمة: قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠١٠م.